استعمال الحرف الذي لا يخل إسقاطه بالمعنى ، فرفضه وأرجع الأمر إلى أهل الطبع الذين يجدون من زيادة الحرف معنى لا يجدونه عند إسقاطه ، فالحروف تؤثر في المعنى بنقصانها كما تؤثر فيه بزيادتها ، ومثلها في ذلك الأفعال والأسماء [١].

وقد تنبه عبد القاهر إلى هذه الزيادة وأنكر أن نسلب الكلمة دلالتها ثم لا نعطيها دلالة أخرى ، وأن نخليها من أن يراد بها شيء على وجه من الوجوه ، ذلك أن وصفها بالزيادة يفيد ألا يراد بها معنى ، وأن تكون كأن لم يكن لها دلالة قط [٢].

ورأى ابن فارس أن ما يسمى (زيادة) هو من طريقة العرب في صياغة الكلام في الأسماء والأفعال والحروف ، وأنه لا بد من هدف دلالي وراء هذه الزيادة ، فقد قالوا : إن « الاسم في قولنا (بسم الله) – وإنما أردنا (بالله) لكنه لما أشبه القسم زيد فيه الاسم . » [٣]

ومن تتبعنا لتفرقة ابن الأثير بين الإيجاز والإطناب والتطويل ندرك أن الرجل لم يغفل عن الطبيعة الدلالية لكل نوع من هذه الأنواع الثلاثة ، فقد جعل مثال الإيجاز والإطناب والتطويل – والزيادة من التطويل – مثال مقصد يسلك إليه في ثلاثة طرق : فالإيجاز هو أقرب الطرق الثلاثة إليه ، والإطناب والتطويل هما الطريقان المتساويان في البعد إليه ، إلا أن طريق

---

(١) جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن . القاهرة ، مطبعة حجازي ، ج ٢ ، ص ١١٠ .

(٢) عبد القاهر الجرجاني : أسرار البلاغة ، تصحيح وتعليق السيد محمد رشيد رضا . بيروت ، المعرفة ، ١٩٧٨ . ص٣٦٤ .

(٣) ابن فارس : الصاحبي ، ص ٣٣٩ .